

أصول في التفسير

بِقَلْمِ الْفَقِيرِ إِلَى رَبِّهِ

مُحَمَّد صَالِح العثَيمِين

المدرس بكلية الشريعة في القصيم

رحمه الله

أشرف على تحقيقه
قسم التحقيق
بالمكتبة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيصال: ٧٢٤٩ / ٢٠٠١

المكتبة الإسلامية

٤٩٩١٢٥٤ ⑦ ش صعب صالح • عين شمس الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمه ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعواز بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له ومن يضللا فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً، أما بعد:

فإن من المهم في كل فن أن يتعلم المرء من أصوله ما يكون عوناً له على فهمه وتخرجه على تلك الأصول ليكون علمه مبنياً على أساس قوية ودعائم راسخة، وقد قيل: من حرم الأصول حرم الوصول.

ومن أجل فنون العلم بل هو أجلها وأشرفها علم التفسير الذي هو تبيين معاني كلام الله عز وجل، وقد وضع أهل العلم له أصولاً كما وضعوا لعلم الحديث أصولاً ولعلم الفقه أصولاً.

وقد كنتُ كتبتُ من هذا العلم ما تيسر لطلاب المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فطلب مني بعض الناس أن أفردها في رسالة ليكون ذلك أيسراً وأجمع فأجبته إلى ذلك، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها. ويتلخص ذلك فيما يأتي:

القرآن الكريم :

١ - متى نزل القرآن على النبي ﷺ ، ومن نزل به عليه من الملائكة.

٢ - أول ما نزل من القرآن.

٣ - نزول القرآن على نوعين: سببي وابتدائي.

٤ - القرآن مكي ومدني، وبيان الحكم من نزوله مفرقاً وترتيب القرآن.

٥ - جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

التفسير:

١ - معنى التفسير لغة واصطلاحاً وبيان حكمه والغرض منه.

٢ - الواجب على المسلم في تفسير القرآن.

٣ - المرجع في التفسير إلى ما يأتي:

(أ) كلام الله تعالى بحيث يفسر القرآن بالقرآن.

(ب) سنة الرسول ﷺ؛ لأنها مبلغ عن الله تعالى وهو أعلم الناس بمراد الله تعالى في كتاب الله.

(ج) كلام الصحابة رضي الله عنهما لا سيما ذوي العلم والعنایة بالتفسير؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم.

(د) كلام كبار التابعين الذين اهتموا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهما.

(هـ) ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغویة حسب السياق، فإن اختلف الشرعي واللغوي أخذ المعنى الشرعي إلا بدليل يرجح اللغوي.

٤ - أنواع الاختلاف الوارد في التفسير المؤثر.

٥ - ترجمة القرآن: تعريفها . أنواعها. حكم كل نوع.

خمس ترجمات مختصرة للمشهورين بالتفسير: ثلاث للصحابية ، واثنتان للتابعين.

أقسام القرآن من حيث الإحکام والتشابه:

موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه.

المتشابه: حقيقي ونسيبي.

الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه.

موهم التعارض من القرآن والجواب عنه وأمثلة من ذلك.

القسم : تعريفه - أداته - فائدته.

القصص:تعريفها - الغرض منها - الحكمة من تكرارها واختلافها في الطول
والقصر والأسلوب.

الإسرائييليات التي أقحمت في التفسير وموقف العلماء منها.

الضمير : تعريفه - مرجعه - الإظهار في موضع الإضمار وفائدته - الالتفات
وفائدته - ضمير الفصل وفائدته.

القرآن الكريم

القرآن الكريم في اللغة: مصدر قرأ بمعنى تلا، أو بمعنى جمع. تقول: قرآ قرءاً فرقاً، كما تقول: غفر غفرانًا، فعلى المعنى الأول (تلا) يكون مصدرًا بمعنى اسم المفعول أي بمعنى متلو. وعلى المعنى الثاني (جَمَع) يكون مصدرًا بمعنى اسم الفاعل أي بمعنى جامع؛ لجمعه الأخبار والأحكام.

والقرآن في الشرع: كلام الله تعالى المُنْزَل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣] وقال: ﴿إِنَّا نَزَّلْنَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]

وقد حمى الله تعالى هذا القرآن العظيم من التغيير والزيادة والنقص والتبدل حيث تكفل عز وجل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولذلك مضت القرون الكثيرة ولم يحاول أحد من أعدائه أن يغير فيه أو يزيد أو ينقص أو يبدل إلا هتك الله تعالى ستره وفضح أمره.

وقد وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة تدل على عظمته وبركته وتأثيره وشموله وأنه حاكم على ما قبله من الكتب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]
 ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيَدِبَرُوا آيَاتِهِ وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]
 ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعْلَكُمْ تَرَحَمُونَ﴾ [آلأنعام: ١٥٥]

﴿إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلٰى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَائِشًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَتَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَامَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِشُونَ (١٢) وَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رَجْسَهُمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبه: ١٢٤ - ١٢٥] ﴿وَأُوحِيَ إِلٰيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلٰيكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا إِلٰيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِيمِنًا عَلٰيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

والقرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامية التي بعث بها محمد ﷺ إلى الناس كافة قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلٰيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلٰى النُّورِ يَأْذِنَ رَبَّهُمْ إِلٰى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللّٰهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢].

وسنة النبي ﷺ مصدر تشريع أيضًا كما قوله القرآن قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللّٰهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلٰيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمُ تُحْبِبُونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللّٰهُ﴾ [الحشر: ٧]

أصول في التفسير
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

١ - نزول القرآن

نزل القرآن أول ما نزل على رسول الله ﷺ في ليلة القدر في رمضان قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ﴾ [القدر: ١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [٢] فيها يُفرَقُ كُلُّ أُمَّرٍ حَكِيمٍ ﴿الدخان: ٤، ٣﴾ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وكان عمر النبي ﷺ أول ما نزل عليه أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم، وقد روی عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم. وهذه السن هي التي يكون بها بلوغ الرشد وكمال العقل و تمام الإدراك.

والذي نزل بالقرآن من الله تعالى إلى النبي ﷺ جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام قال الله تعالى عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٢] نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [١٩٤] بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٍ [١٩٥]
[الشعراء: ١٩١ - ١٩٥]

وقد كان جبريل عليه السلام من الصفات الحميده العظيمة من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة ما جعله أهلاً لأن يكون رسول الله تعالى بوحيه إلى رسليه، قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [١٩] ذي قُوَّةٍ عَنْ دِيْرِ العَرْشِ مَكِينٍ [٢٠] مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٍ [٢١] [التكوير: ١٩ - ٢١]. وقال : ﴿عَلَمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ [٢٢] ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى [٢٣] وهو بالأُفْقِ الْأَعْلَى [٢٤] [النجم: ٥ - ٧].

وقال : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى

وقد بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا أوصافَ جَبْرِيلَ الَّذِي نَزَلَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عَنْدِهِ وَتَدَلُّ عَلَى عِظَمِ
الْقُرْآنِ وَعَنْايَتِهِ تَعَالَى بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَرْسِلُ مِنْ كَانَ عَظِيمًا إِلَّا بِالْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ.

٢- أول ما نزل من القرآن

أول ما نزل من القرآن على وجه الإطلاق قطعًا الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهي قوله تعالى : ﴿ اقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)
اَفْرَا وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ (٤) عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥-١]

ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدْثَرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبُّكَ فَكَبِرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ (٤) وَالرُّجْزَ
فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١ - ٥] ففي الصحيحين صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي قالت : حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك ، فقال : اقرأ . فقال النبي عليه السلام : ما أنا بقارئ . (يعني لست أعرف القراءة) فذكر الحديث وفيه : ثم قال : ﴿ اقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(١) . وفيهما عن جابر رضي الله عنه : أن النبي عليه السلام قال وهو يحدث عن فترة الوحي : بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء . . . ، فذكر الحديث وفيه : فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا
أَيُّهَا الْمُدْثَرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ إلى وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ^(٢) .

وثمت آيات يقال فيها أول ما نزل والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين فتكون أولية مقيّدة مثل حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين أن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله :

(١) أخرجه : البخاري (٣، ٢٣٩٢ ، ٤٩٥٣ - وغير موضع) ، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجه : البخاري (٤، ٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ - وغير موضع) ، ومسلم (١٦١) .

أصل في التفسير
أي القرآن أنزل أول؟ قال جابر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِر﴾ . قال أبو سلمة: أنبئت أنه أقرأ باسم ربك الذي خلقك . فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ
قال رسول الله ﷺ : جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت . . . ، فذكر الحديث وفيه: فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبووا عليّ ماء بارداً، وأنزل عليّ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِر﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجُزَ فَاهْجُر﴾^(١) .

فهذه الأولية التي ذكرها جابر رضي الله عنه باعتبار أول من نزل بعد فترة الوحي أو أول ما نزل في شأن الرسالة؛ لأن ما نزل من سورة أقرأ ثبتت به نبوة النبي ﷺ وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله: ﴿قُمْ فَانذِرْ﴾ ولهذا قال أهل العلم: إن النبي ﷺ نبئ بـ ﴿أَقْرَأ﴾ وأرسل بـ ﴿الْمُدَّثِر﴾ .

٣ - نزول القرآن ابتدائي وسببي

ينقسم نزول القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: ابتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه وهو غالب آيات القرآن ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لِئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبه: ٧٥] فإنها نزلت ابتداء في بيان حال بعض المنافقين. وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب في قصة طويلة ذكرها كثير من المفسرين وروجها كثير من الوعاظ ضعيف لا صحة له^(٢) .

القسم الثاني: سببي وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه. والسبب:

(١) أخرجه البخاري (٤، ٤٩٢٤) - وغير موضع ، ومسلم (١٦١).

(٢) أخرجه : الطبراني (٨/ ٢١٨ - ٢١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٥٧) وقال: في إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير، والله أعلم .
وقال الحافظ في «الفتح» في كتاب الزكاة في باب «وجوب الزكاة» : هذا حديث ضعيف لا يحتاج به .

(أ) إما سؤال يجيب الله عنه مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

(ب) أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبه: ٦٥] الآيتين نزلتا في رجل من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطريقنا، ولا أكذب أنساناً، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن، فجاء الرجل يعتذر إلى النبي ﷺ، فيجيبه: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُ تَسْهِزُ عَوْنَ﴾ [التوبه: ٦٥] ^(١).

(ج) أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] الآيات.

فوائد معرفة أسباب النزول :

معرفة أسباب النزول مهمة جداً لأنها تؤدي إلى فوائد كثيرة منها:

١ - بيان أن القرآن نزل من الله تعالى، وذلك لأن النبي ﷺ يُسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحياناً حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفى عليه الأمر الواقع فينزل الوحي مبيناً له.

مثال الأول: قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً من اليهود قال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت - وفي لفظ: فامسك -

(١) أخرجه الطبراني في «تفسيره» ٤٠٨ / ٦ في تفسير الآية من سورة المائدة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

النبي ﷺ فلم يرده عليهم شيئاً، فلعلم أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] ^(١).

ومثال الثاني : قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَ﴾ [المافقون: ٨] . ففي صحيح البخاري أن زيد بن أرقم رض سمع عبد الله ابن أبي رأس المنافقين يقول ذلك ، يريد أنه الأعز ورسول الله ﷺ وأصحابه الأذل ، فأخبر زيد عممه بذلك ، فأخبر به النبي ﷺ ، فدعا النبي ﷺ زيداً فأخبره بما سمع ، ثم أرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفو ما قالوا ، فصدقهم رسول الله ﷺ فأنزل الله تصديق زيد في هذه الآية ، فاستبان الأمر لرسول الله ﷺ ^(٢) .

٢ - بيان عنابة الله تعالى برسوله ﷺ في الدفاع عنه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِتُشَبَّهَ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] . وكذلك آيات الإفك فإنها دفاع عن فراش النبي ﷺ وتطهيرًا له عما دنسه به الأفاكون .

٣ - بيان عنابة الله تعالى بعباده في تفريح كرباتهم وإزالته غمومهم .

مثال ذلك آية التيمم ففي صحيح البخاري أنه ضاع عقد لعائشة رض وهي مع النبي ﷺ في بعض أسفاره ، فأقام النبي ﷺ لطلبه وأقام الناس على غير ماء ، فشكوا ذلك إلى أبي بكر - ذكر الحديث ، وفيه: فأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا ، فقال أنسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . والحديث في البخاري مطولاً ^(٣)

(١) أخرجه: البخاري (١٢٥ ، ٤٧٢١ - وغير موضع) ، ومسلم (٢٧٩٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٩٠٠ ، ٤٩٠١ - وغير موضع) ، ومسلم (٢٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤ ، ٣٣٦ - وغير موضع) ، ومسلم (٣٦٧) من حديث عائشة رض.

٤ - فَهُمُ الْآيَةُ عَلَى الوجهِ الصَّحِيحِ.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] أي يسعى بينهما فإن ظاهر قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أن غاية أمر السعي بينهما أن يكون من قسم المباح. وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألتُ أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهم من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿أَنْ يَطْوَفَ بِهِمَا﴾^(١). وبهذا عُرف أن نفي الجناح ليس المراد به بيان أصل حكم السعي، وإنما المراد نفي تحرُّجهم بإمساكهم عنه حيث كانوا يرَوْنَ أنهم من أمر الجاهلية. أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله: ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

عموم اللفظ وخصوص السبب:

إذا نزلت الآية لسبب خاص ولفظها عام كان حكمها شاملاً لسببها ولكل ما يتناوله لفظها؛ لأن القرآن نزل تشريعاً عاماً لجميع الأمة، فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه.

مثال ذلك آيات اللعان وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩٦]. ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي عليه السلام بشريك بن سحماء. فقال النبي عليه السلام : البيبة أو حد في ظهرك. فقال هلال: والذي بعثك بالحق، إني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل

(١) أخرجه : البخاري (١٦٤٨ ، ٤٤٩٦)، ومسلم (١٢٧٨).

لهم أصول في التفسير
وأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
ال الحديث^(١).

فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامرأته، لكن حكمها شامل له ولغيره، بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن عُمير العجلاني جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فقتلونه ألم كيف يصنع؟ فقال النبي ﷺ : قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك: فأمرهما رسول الله ﷺ بالملائكة بما سمي الله في كتابه فلاعنها. الحديث^(٢).

فجعل النبي ﷺ حكم هذه الآيات شاملاً لهلال بن أمية وغيره.

٤- المكي والمدني

نزل القرآن على النبي ﷺ مُفرقاً في خلال ثلات وعشرين سنة قضى رسول الله ﷺ أثراها بمكة. قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] ولذلك قسم العلماء رحمة الله تعالى القرآن إلى قسمين مكي ومدني: فالمكي: ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة. والمدني: ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] من القسم المدني وإن كانت قد نزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع بعرفة. ففي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة^(٣).

(١) أخرجه: البخاري: (٢٦٧١ ، ٤٧٤٧ ، ٥٣٠٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٢٣ ، ٤٧٤٥ - وغير موضع)، ومسلم (١٤٩٢).

(٣) أخرجه: البخاري (٤٥ ، ٤٥٧ ، ٤٤٠٧ ، ٤٦٠٦ ، ٧٢٦٨) ، ومسلم (٣٠١٧).

ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع :

(أ) أما من حيث الأسلوب فهو :

١ - الغالب في المكي قوة الأسلوب، وشدة الخطاب؛ لأن غالبية المخاطبين مُعرضون مستكرون، ولا يليق بهم إلا ذلك. اقرأ سورة (المدثر - القمر).

أما المدني فالغالب في أسلوبه اللين، وسهولة الخطاب؛ لأن غالبية المخاطبين مقبلون منقادون. اقرأ سورة المائدة.

٢ - الغالب في المكي قصر الآيات وقوتها المحتاجة؛ لأن غالبية المخاطبين معاندون مشاقون فخو طبوا بما تقتضيه حالهم . اقرأ سورة (الطور).

أما المدني : فالغالب فيه طول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون مُحتاجة؛ لأن حالهم تقتضي ذلك . اقرأ (آية الدين في سورة البقرة).

(ب) وأما من حيث الموضوع فهو :

١ - الغالب في المكي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة، خصوصاً ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث؛ لأن غالبية المخاطبين ينكرون ذلك.

أما المدني فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات؛ لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

٢ - الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال ذلك ، حيث شُرع للجهاد وظهر النفاق ، بخلاف القسم المكي.

فوائد معرفة المدني والمكي :

معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة، وذلك لأن فيها فوائد،

منها:

- ١ - ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة أو لين وسهولة.
- ٢ - ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته، حيث يتدرج شيئاً فشيئاً بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ.
- ٣ - تربية الدعاء إلى الله تعالى وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع من حيث المخاطبين، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، و تستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.
- ٤ - تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آياتان مكية ومدنية يتحقق فيهما شروط النسخ، فإن المدنية ناسخة للمكية لتأخر المدنية عنها.

الحكمة من نزول القرآن مفرقاً :

من تقسيم القرآن إلى مكي و مدني يتبين أنه نزل على النبي ﷺ مفرقاً، ولنزوله على هذا الوجه حكم كثيرة منها:

- ١ - ثبيت قلب النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ ﴾ يعني كذلك نزلناه مفرقاً - ﴿ لُنْشِّتَ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].
- ٢ - أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به حيث يقرأ عليهم شيئاً فشيئاً لقوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَا لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]

٣ - تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه، حيث يتشوّق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية، لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها، كما في آيات الإفك واللعان.

٤ - التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه وألفوه وكان من الصعب عليهم أن يُجاهُهُوا بالمنع منه منعاً باتاً، فنزل في شأنه أولاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [آل عمران: ٢١٩] فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه، حيث إن العقل يقتضي أن لا يُمارس شيئاً إثمه أكبر من نفعه.

ثم نزل ثانياً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [آل عمران: ٤٣] فكان في هذه الآية تررين على تركه في بعض الأوقات وهي أوقات الصلوات ثم نزل ثالثاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوَقِّعَ بَيْنَكُمُ الْعُدَاوَةَ وَالبغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [آل عمران: ١١٤] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فِإِنْ تَوَلَّتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [آل عمران: ١١٥] فكان في هذه الآيات المنع من الخمر منعاً باتاً في جميع الأوقات بعد أن هيئت النفوس، ثم مُرنت على المنع في بعض الأوقات.

ترتيب القرآن :

ترتيب القرآن: تلاوته تاليًا بعضه بعضاً حسبما هو مكتوب في المصاحف ومحفوظ في الصدور.

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية، وهذا ثابت بالنص والإجماع، ولا نعلم مخالفًا في وجوبه وتحريم مخالفته. فلا يجوز أن يقرأ: «للهم الحمد لله رب العالمين» بدلاً من ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

النوع الثاني: ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة، وهذا ثابت بالنص والإجماع، وهو واجب على القول الراجح وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن يقرأ «مالك يوم الدين الرحمن الرحيم» بدلاً من ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) مالك يوم الدين [الفاتحة: ٢ - ٣] ففي صحيح البخاري: أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُوْنَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] : قد نسختها الآية الأخرى - يعني قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُوْنَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصُنَّ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةً أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وهذه قبلها في التلاوة قال: فلم تكتبها؟ فقال عثمان رضي الله عنه: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه^(١). وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذمي من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يتزل عليه السور ذات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا^(٢).

النوع الثالث: ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف وهذا ثابت بالاجتهاد فلا يكون واجباً. وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنه

(١) أخرجه: البخاري (٤٥٣٦ ، ٤٥٣٧).

(٢) أخرجه: أحمد (١/٥٧ ، ٦٩)، وأبو داود (٧٨٦)، والنسائي في «الكبري» (٨٠٠٧)، والترمذني (٣٠٨٦).

صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ النبي ﷺ البقرة ثم النساء ثم آل عمران^(١).
وروى البخاري تعليقاً عن الأحنف: أنه قرأ في الأولى بالكهف وفي الثانية بيوسف أو
يونس، وذكر أنه صلى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تجوز قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة، ولهذا
تنوعت مصاحف الصحابة ظلهم في كتابتها، لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن
عثمان خواصه صار هذا لما سَنَّةُ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدُونَ، وقد دل الحديث^(٣) على أن لهم سنة
يجب اتباعها .١.١.٥.

٥- كتابة القرآن وجمعه

لكتابه القرآن وجمعه ثلات مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر
من الاعتماد على الكتابة؛ لقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة،
ولذلك لم يجمع في مصحف، بل كان من سمع آية حفظها أو كتبها فيما تيسر له من
عشب النخل ورقاع الجلود ولحاف الحجارة وكسر الأكتاف، وكان القراء عدداً
كبيراً، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك خواصه: أن النبي ﷺ بعث سبعين
رجالاً يقال لهم القراء فعرض لهم حيّان من بنى سليم رِعْلَ وذُكْوان عند بئر

(١) أخرجه : مسلم (٧٧٢).

(٢) ذكره البخاري في كتاب: الأذان، باب: «الجمع بين السورتين في الركعة . . .».

(٣) المراد بالحديث هذا هو حديث العرياض بن سارية وفيه: «... عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهدية
عضوا عليها بالتواجذ».

أخرجه : أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذى (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤). وراجع: «الإرواء»

(٢٤٥٥) «والصحيحه» (٩٣٧).

مَعْوِنَةٍ فَقْتُلُوهُمْ^(١) . وفي الصحابة غيرهم كثير كالخلفاء الأربع وعبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي الدرداء رضي الله عنه .

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر رضي الله عنه في السنة الثانية عشرة من الهجرة وسببه أنه قُتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء منهم سالم مولى أبي حذيفة أحد من أمر النبي صلوات الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم، فأمر أبو بكر رضي الله عنه بجمعه لثلا يضيع.

ففي صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب أشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن بعد وقعة اليمامة فتوقف، فلم يزل عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأرسل إلى زيد بن ثابت، فأتاه وعنده عمر فقال له أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهكم وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلوات الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه. قال: فتبتعد القرآن أجمعه من العُسُبِ واللَّخَافِ وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه . رواه البخاري مطولاً^(٢) . وقد وافق المسلمين أبا بكر على ذلك وعدوه من حسناته حتى قال علي رضي الله عنه: أعظم الناس في المصاحف أَجْرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله^(٣) .

المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في السنة الخامسة والعشرين وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي

(١) أخرجه: البخاري (١٠٠١ ، ١٠٦٤ - وغير موضع).

والعسب: جمع عسيب: وهو جريد التخل.

واللخاف: جمع لَخْفَةٍ : وهو حجر أبيض عريض رقيق.

(٢) أخرجه: البخاري (٢٨٠٧ - ٧١٩١ - وغير موضع) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٣) أخرجه: ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص ٥).

الصحابة رضي الله عنه فخافت الفتنة فأمر عثمان رضي الله عنه أن تجمع هذه الصحف في مصحف واحد لئلا يختلف الناس فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا، ففي صحيح البخاري: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من فتح أرمénية وأذربیجان وقد أفرغه اختلافهم في القراءة فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف نسخها في المصحف ثم نردها إليك، ففعلت، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصحف. وكان زيد بن ثابت أنصاريًا والثلاثة قرشيين - وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا المصحف في المصحف رد عثمان المصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وقد فعل عثمان رضي الله عنه هذا بعد أن استشار الصحابة رضي الله عنه لما روى ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه قال: والله ما فعل الذي فعل في المصحف إلا عن ملء مِنَّا، قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا: فَعَمَّ مَا رأيْتُ^(١). وقال مصعب بن سعد: أدركت الناس متواfiltrin حين حرق عثمان المصحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد^(٢). وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه التي وافقه المسلمون عليها وكانت مكملاً لجمع خليفة رسول الله صلوات الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه، والفرق بين جموعه وجمع أبي بكر رضي الله عنه أن الغرض من جموعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه تقدير القرآن كله مجموعاً في

(١) أخرجه: ابن أبي داود في «كتاب المصحف» (ص ٢٢).

(٢) أخرجه: ابن أبي داود في «كتاب المصحف» (ص ١٢).

مصحف حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناس على الاجتماع على مصحف واحد وذلك أنه لم يظهر أثر لاختلاف قراءاتهم يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحف واحد.

وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه فهو تقييد القرآن كله مجموعاً في مصحف واحد، يحمل الناس على الاجتماع عليه؛ لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات.

وقد ظهرت نتائج هذا الجمع حيث حصلت به المصلحة العظمى لل المسلمين من اجتماع الأمة واتفاق الكلمة وحلول الألفة، واندفعت به مفسدة كبرى من تفرق الأمة واختلاف الكلمة وفسو البغضاء والعداوة. وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن متفقاً عليه بين المسلمين متواتراً بينهم، يتلقاه الصغير عن الكبير، لم تعبث به أيدي المفسدين ولم تطمسه أهواء الزائغين، فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين.

التفسير

التفسير لغة: من الفَسْرُ وهو الكَشْفُ عن المَغْطَىِ.

وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم.

وتعلّم التفسير واجب لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَّيَدْبَرُوا آيَاتِهِ وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. ولقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

ووجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بين أن الحكمة من إِنْزَالِ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَبَارَكَ أَنْ يَتَدَبَّرَ النَّاسُ آيَاتِهِ وَيَتَعَظَّمُوْ بِمَا فِيهَا. وَالْتَّدَبُّرُ هُوَ التَّأْمِلُ فِي الْأَلْفَاظِ لِلْوَصْولِ إِلَى مَعَانِيهَا، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَاتَّ الْحَكْمَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ وَصَارَ مَجْرِدُ الْفَاظِ لَا تَأْثِيرٌ لَّهَا.

وَلَا نَهِيَّ لَا يَكُنُ الْاعْتَاظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ.

ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى وَبِخَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنِ الْإِقْفَالِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَدَمِ وَصْولِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ.

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلّمون القرآن الْفَاظَهُ وَمَعَانِيهِ؛ لأنهم بذلك يتمكّنون من العمل بالقرآن على مراد الله به، فإن العمل بما لا يُعرف معناه غير ممكن.

وقال أبو عبد الرحمن السُّلْميُّ: حدثنا الذين كانوا يُقرؤُونَا القرآنَ كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم

يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطلب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم^(٢).

ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المُشافهة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَبَيَّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وتبيين الكتاب للناس شامل لتبين ألفاظه ومعانيه، فيكون تفسير القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه.

والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله ليعبد الله بها على بصيرة.

الواجب على المسلم في تفسير القرآن

الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يُشعر نفسه حين يُفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أراد من كلامه، فيكون مُعظماً لهذه الشهادة، خائفاً من أن يقول على الله بلا علم فيقع فيما حرم الله فُيُخزى بذلك يوم القيمة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبُغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]

(١) أخرجه : الطبرى في «تفسيره» (٦٠ / ١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٣٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

المراجع في تفسير القرآن

يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي:

أولاً: كلام الله تعالى فيفسر القرآن بالقرآن؛ لأن الله تعالى هو الذي أنزله وهو أعلم بما أراد به.

ولذلك أمثلة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَاءِ اللَّهَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ٢] فقد فسر الطارق بقوله في الآية الثانية ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣].

٣ - قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَّاها﴾ [النازعات: ٣٠] فقد فسر دحاتها بقوله في الآيتين بعدها ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٢١) ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣١ : ٣٢]

ثانياً، كلام رسول الله ﷺ فيفسر القرآن بالسنة؛ لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله تعالى فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه.

ولذلك أمثلة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَرِزْيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] فقد فسر النبي ﷺ الرزادة بالنظر إلى وجه الله تعالى فيما رواه ابن حجر رابع وابن أبي حاتم صريحاً

من حديث أبي موسى وأبي بن كعب، ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عُجرة^(١)، وفي صحيح مسلم عن صالح بن سنان عن النبي ﷺ في حديث قال فيه: فيكشف الحجاب فما أطعوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية ﴿لِّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيادة﴾^(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأనفال: ٦٠] فقد فسر النبي ﷺ القوة بالرمي، رواه مسلم وغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه^(٣).

ثالثاً: كلام الصحابة رضي الله عنه لا سيما ذوي العلم منهم والعنابة بالتفسير؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم، ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق وأسلفهم من الأهواء وأطهرهم من المخالفات التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب.

ولذلك أمثله كثيرة جداً منها: -

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامْسَتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] فقد صرحت ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الملامسة بالجماع^(٤).

رابعاً: كلام التابعين الذين اعتمدوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنه؛ لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة وأسلم من الأهواء من بعدهم، ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيراً في عصرهم فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن من بعدهم.

(١) أخرج أحاديثهم الطبراني في «تفسيره» للآية الكريمة من سورة يونس (٦/٥٤٩ - ٥٥٢).

وراجع «تفسير ابن كثير» في تفسيره لهذه الآية.

(٢) أخرجه : مسلم (١٨١).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩١٧)، وأبو داود (٢٥١٤)، والترمذى (٣٠٨٣)، وابن ماجه (٢٨١٣).

(٤) أخرجه: عبد الرزاق في «مصنفه» (١/١٣٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» أيضاً (١/١٩٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا أجمعوا (التابعين) على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك»^(١).

وقال أيضًا: «من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفورة له خطأه»^(٢) ، ثم قال: «فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميماً»^(٣).

خامسًا: ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لِبَيْنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي أخذ بما يقتضيه الشرعي؛ لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به.

مثال ما اختلف فيه المعنيان وقدم الشرعي: قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا تُصلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ [التوبه: ٨٤] فالصلة في اللغة الدعاء وفي الشرع هنا الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة، فيقدم المعنى الشرعي؛ لأن المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب، وأما منع الدعاء لهم على وجه الإطلاق فمن دليل آخر.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٧٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٦١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٦٢).

ومثال ما اختلف فيه المعنian وقدّم فيه اللغوي بالدليل: قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظْهِرُهُمْ وَتُرْكِيْهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبه: ١٠٣] فالمراد بالصلاه هنا الدعاء بدليل ما رواه مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم. فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى^(١).

وأمثلة ما اتفق فيه المعنian الشرعي واللغوي كثيرة: كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان.

(١) أخرجه: مسلم (١٠٧٨) ، وكذلك أخرجه: البخاري (١٤٩٧ ، ٤١٦٦ ، ٦٣٣٢ ، ٦٣٥٩).

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور

الاختلاف الوارد في التفسير المأثور على ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية. مثاله قوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال ابن عباس: قضى: أمر. قال مجاهد: وصَّى. قال الربيع بن أنس: أوجب. وهذه التفسيرات معناها واحد أو متقارب، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى والآية تحتمل المعنين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذُكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية أو التنويه. مثاله قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَا آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [١٧٥] ولو شئنا لرفعته بها ولتكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه [١٧٦]. قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل، وعن ابن عباس أنه: رجل من أهل اليمن، وقيل: رجل من أهل البَلْقاء.

والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها؛ لأنها تحتملها من غير تضاد ويكون كل قول ذُكر على وجه التمثيل.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَكَأسًا دَهَاقًا﴾ [البأ: ٣٤] قال ابن عباس: دهاقاً مبلوءة . وقال مجاهد: متابعة . وقال عكرمة: صافية .
ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها، فتحمل عليها جميعاً ، ويكون كل قول لنوع من المعنى.

الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى والآية لا تحتمل المعنين معًا للتضاد بينهما، فتحمل

الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥] قال ابن عباس: غير باغ في الميته ولا عاد في أكله. وقيل: غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره، والأرجح الأول؛ لأنّه لا دليل في الآية على الثاني، ولأنّ المقصود بحلّ ما ذكر دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام وفي حال السفر المحرّم وغير ذلك.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيْضَةً فَيَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا اللَّهُ بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال علي بن أبي طالب عليه السلام في الذي بيده عقدة النكاح: هو الزوج. وقال ابن عباس: هو الولي. والراجح الأول لدلالة المعنى عليه، ولأنّه قد روي فيه حديث عن النبي صلوات الله عليه وسلم (١).

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٣٥٩)، والدارقطني في «السنن» (٢٧٩/٣) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده.

ترجمة القرآن

الترجمة لغة: تطلق على معانٍ ترجع إلى البيان والإيضاح.

وفي الاصطلاح: التعبير عن الكلام بلغة أخرى.

وترجمة القرآن: التعبير عن معناه بلغة أخرى.

والترجمة نوعان:

أحددهما: ترجمة حرفية وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بيازاتها.

الثاني: ترجمة معنوية أو تفسيرية وذلك بأن يعبر عن معنى الكلام بلغة أخرى من غير مراعاة المفردات والترتيب.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

فالترجمة الحرفية: أن يتسرّج كلمات هذه الآية كلّمة كلّمة فيترجم (إنّا) ثم (جعلناه) ثم (قرآنًا) ثم (عربيًّا) وهكذا.

والترجمة المعنوية: أن يتسرّج معنى الآية كلّها بقطع النظر عن معنى كلّمة وترتيبها وهي قريبة من معنى التفسير الإجمالي.

حكم ترجمة القرآن:

الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحبّة عند كثير من أهل العلم، وذلك لأنّه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحقيقها معها وهي:

(أ) وجود مفردات في اللغة المترجم إليها بيازاء حروف اللغة المترجم منها.

(ب) وجود أدوات لمعاني في اللغة المترجم إليها مساوية أو مشابهة للأدوات في اللغة المترجم منها.

(ج) تماثل اللغتين المترجم منها وإليها في ترتيب الكلمات حين تركيبيها في الجمل والصفات والإضافات.

وقال بعض العلماء: إن الترجمة الحرفية يمكن تحقيقها في بعض آية أو نحوها، ولكنها - وإن أمكن تحقيقها في نحو ذلك - محرمة لأنها لا يمكن أن تؤدي المعنى بكماله ولا أن تؤثر في النفوس تأثير القرآن العربي المبين، ولا ضرورة تدعوا إليها للاستغناء عنها بالترجمة المعنوية.

وعلى هذا فالترجمة الحرفية إن أمكنت حسًّا في بعض الكلمات فهي منوعة شرعاً، اللهم إلا أن يترجم كلمة خاصة بلغة من يخاطبه ليفهمها من غير أن يترجم التركيب كله فلا بأس.

وأما الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل؛ لأنَّه لا محذور فيها، وقد تجرب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية؛ لأنَّ إبلاغ ذلك واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

لكن يشترط لجواز ذلك شروط:

الأول : أن لا يجعل بديلاً عن القرآن بحيث يستغني بها عنه. وعلى هذا فلابد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة لتكون كالتفسير له.

الثاني : أن يكون المترجم عالماً بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها وما تقتضيه حسب السياق.

الثالث : أن يكون عالماً بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن.

ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليهما، بحيث يكون مسلماً مستقيماً في دينه.

المشهورون بالتفسير من الصحابة

اشتهر بالتفسير جماعة من الصحابة، ذكر السيوطي^(١) منهم الخلفاء الأربعه أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً رضي الله عنه، إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرة لأنشغالهم بالخلافة وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك لكثره العالمين بالتفسير.

ومن المشهورين بالتفسير من الصحابة أيضاً: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس. فلترجم حياة علي بن أبي طالب مع هذين رضي الله عنه.

١. علي بن أبي طالب:

هو ابن عم الرسول صلوات الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها وعنها وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم وكتبه أبو الحسن وأبو تراب.

ولد قبلبعثة النبي صلوات الله عليه وسلم بعشرين سنة وتربى في حجر النبي صلوات الله عليه وسلم وشهد معه الشاهد كلها وكان صاحب اللواء في معظمها ولم يختلف إلا في غزوة تبوك، خلفه النبي صلوات الله عليه وسلم في أهله وقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢). نُقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل لغيره. وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العدواة وحاولوا إخفاء مناقبه، والروافض الذين بالغوا فيما زعموا من حبه وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه، بل هو عند التأمل من المثالب.

اشتهر رضي الله عنه بالشجاعة والذكاء مع العلم والذكاء حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعدّد من مُعضلة ليس لها أبو حسن، ومن أمثلة النحوين: قضية ولا

(١) «الإنقاذ في علوم القرآن» للسيوطى (٢/١٨٧).

(٢) أخرجه : البخاري (٤٤١٦ ، ٣٧٠٦) ، ومسلم (٤٠٤).

أبا حسن لها. وروي عن علي أنه كان يقول: سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا جاءنا الشبت عن علي لم نعد به، وروي عنه أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب.

كان أحد أهل الشورى الذين رشحهم عمر رضي الله عنه لتعيين الخليفة، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبى إلا بشرط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه علي رضي الله عنه والناس، ثم بُويع بالخلافة بعد عثمان حتى قُتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة رضي الله عنه.

٢. عبد الله بن مسعود :

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي وأمه أم عبد كان ينسب إليها أحياناً، وكان من السابقين الأولين في الإسلام وهاجر الهرجتين وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد.

تلقى من النبي صلوات الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة من القرآن. وقال له النبي صلوات الله عليه وسلم في أول الإسلام: «إنك لغلام معلم»^(١) ، وقال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»^(٢) . وفي صحيح البخاري أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لقد علم أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله»^(٣) . وقال: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله

(١) أخرجه: أحمد (١/٣٧٩ ، ٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه: ابن ماجه (١٣٨) من حديث أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه: البخاري (٥٠٠) ، وكذلك مسلم (٢٤٦٢) .

وكان من خدم النبي ﷺ فكان صاحب نعليه وظهوره ووساده حتى قال أبو موسى الأشعري: «قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيته ^{عليهم السلام} لما نرى من دخوله ودخوله أمه على النبي ^{عليهم السلام}»^(٢). ومن أجل ملازمته النبي ^{عليهم السلام} تأثر به وبهديه حتى قال فيه حذيفة: «ما أعرف أحداً أقرب هدياً وسمّتها ودلاً بالنبي ^{عليهم السلام} من ابن أم عبد»^(٣).

بعده عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم وبعث عمراً أميراً وقال: إنهم من النجباء من أصحاب محمد ^{عليهم السلام} فاقتدوا بهما، ثم أمره عثمان على الكوفة ثم عزله وأمره بالرجوع إلى المدينة فتوفي فيها سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبيع وهو ابن بضع وسبعين سنة.

٢. عبد الله بن عباس:

هو ابن عم رسول الله ^{عليهم السلام} ولد قبل الهجرة بثلاث سنين لازم النبي ^{عليهم السلام} لأنّه ابن عمه. وحالته ممونة تحت النبي ^{عليهم السلام}، وضمه النبي ^{عليهم السلام} إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة». وفي رواية: «الكتاب»^(٤). وقال له حين وضع له وضوء: «اللهم فقهه في الدين»^(٥). فكان بهذا الدعاء المبارك حبر الأمة في نشر التفسير والفقه حيث وفقه الله تعالى للحرص على العلم والجد في طلبه والصبر على تلقيه وبذله،

(١) أخرجه: البخاري: (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٧٦٣، ٤٣٨٤)، ومسلم (٢٤٦٠).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٧٦٢، ٦٠٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠) من حديث ابن عباس ^{رضي الله عنهما}.

(٥) أخرجه: البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) من حديث ابن عباس ^{رضي الله عنهما}.

أصول في التفسير

فقال بذلك مكاناً عالياً حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوه إلى مجالسه ويأخذ بقوله، فقال المهاجرون: ألا تدعو أبناءنا كما تدعونا ابن عباس؟! فقال لهم: ذاكم فتي الكهول له لسان سئول وقلب عقول^(١). ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رأه فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا. وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذلك تقول؟ قال: لا. قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله عليه السلام أعلم الله له، إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم^(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَنِعَمْ تُرْجُمَانَ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ، لَوْ أَدْرَكَ أَسْنَانِنَا مَا عَاشَرَهُ مِنَا أَحَدٌ»^(٣). أي ما كان نظيراً له، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستة وأربعين سنة، مما ظنك بما اكتسب بعده من العلم.

وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية: انطلق إلى ابن عباس فسألته فإنه أعلم منْ بقي بما أنزل على محمد عليه السلام. وقال عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس فقهًا وأعظم خشية، إنَّ أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من وادٍ واسع.

(١) أخرجه: عبد الرزاق في «المصنف» (٤/٣٧٦)، (١١/٢٤١)، والحاكم (٣/٥٣٩ - ٥٤٠)، والطبراني في «معجميه الكبير» (١٠/٢٦٥).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٦٢٧)، (٤٢٩٤) - وغير موضع من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/٥١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٥٣٧).

وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو على المَوْسِم (أي والى على موسم الحج من عثمان رضي الله عنه) فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت^(١).

ولاه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين وله علي[ؑ] على البصرة فلما قتل مضى إلى الحجاز فأقام في مكة ثم خرج منها إلى الطائف فمات فيها سنة ثمانية وستين عن إحدى وسبعين سنة.

(١) أخرجه: الحكم في «المستدرك» (٥٣٧/٣).

المشهور بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون فمنهم:

- (أ) أهل مكة: وهم أتباع ابن عباس كمجاحد وعكرمة وعطاًء بن أبي رياح.
 - (ب) أهل المدينة: وهم أتباع أبي بن كعب. كزيد بن أسلم وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي.
 - (ج) أهل الكوفة: وهم أتباع ابن مسعود. كفتادة وعلقمة والشعبي.
- فلترجم حياة اثنين من هؤلاء : مجاهد وفتادة.

١. مجاهد :

هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة. وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما. روى ابن إسحاق عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاخته إلى خاتمه أوقفه عند كل آية وأسئلته عنها. وكان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

واعتمد تفسير الشافعي والبخاري وكان كثيراً ما ينقل عنه في صحيحه. وقال الذهبي في آخر ترجمته^(١): أجمعوا الأمة على إمامية مجاهد والاحتجاج به. توفي في مكة وهو ساجد سنة أربع ومئة عن ثلث وثمانين سنة.

(١) «ميزان الاعتدال» (٤ / ٣٦٠).

٢. قتادة:

هو قتادة بن دعامة السَّدُوسي البصري ولد أَكْمَه - أي أعمى - سنة إحدى وستين. وجدَ في طلب العلم، وكان له حافظة قوية حتى قال عن نفسه: ما قلتُ لحدثَ قَطَ أَعْدَلِي، وما سمعتُ أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي. وذكره الإمام أحمد فأطبب في ذكره فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه، وقال: قَلَّمَا تجد مَنْ يتقدمه، أما المُثُلُ فلعل. وقال: هو أحفظُ أهل البصرة، لم يسمع شيئاً إلا حفظه. توفي في واسط سنة سبع عشرة ومئة عن ست وخمسين سنة.

القرآن محكم ومتشابه

يتنوع القرآن الكريم باعتبار الإحکام والتتشابه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإحکام العام الذي وصف به القرآن كلہ، مثل قوله تعالى: ﴿كَتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. وقوله: ﴿الرَّتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] وقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤]

ومعنى هذا الإحکام الإتقان والجودة في الألفاظ ومعانيه، فهو في غاية الفصاحة والبلاغة، أخباره كلها صدق نافعة، ليس فيها كذب ولا تناقض ولا لغو لا خير فيه. وأحكامه كلها عدل وحکمة، ليس فيها جور ولا تعارض ولا حکم سفيه.

النوع الثاني: التتشابه العام الذي وصف به القرآن كلہ مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْسِيرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ومعنى هذا التتشابه أن القرآن كلہ يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة والغايات الحميدة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

النوع الثالث: الإحکام الخاص ببعضه والتتشابه الخاص ببعضه، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَإِمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفُتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّأْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمِنًا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

ومعنى هذا الإحکام أن يكون معنى الآية واضحاً جلياً لا خفاء فيه، مثل قوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] قوله: ﴿وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] وأمثال ذلك كثيرة.

ومعنى هذا التشابه أن يكون معنى الآية مشتبهاً خفيًا بحيث يتوهّم منه الواهم ما لا يليق بالله تعالى أو كتابه أو رسوله، ويفهم منه العالم الراسخ في العلم خلاف ذلك.

مثاله فيما يتعلق بالله تعالى أن يتوهّم واهم من قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٌ﴾ [المائدة: ٦٤] أن الله يدين مخالفين لأيدي المخلوقين.

ومثاله فيما يتعلق بكتاب الله تعالى أن يتوهّم واهم تناقض القرآن وتکذيب بعضه بعضاً حين يقول: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنَّ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفْسُكَ﴾ [النساء: ٧٩] ويقول في موضع آخر: ﴿وَإِنْ تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

ومثاله فيما يتعلق برسول الله أن يتوهّم واهم من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] أن النبي ﷺ كان شاكّاً فيما أنزل إليه.

موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه

إن موقف الراسخين في العلم من المتشابه وموقف الزائغين منه بينه الله تعالى فقال في الزائغين: ﴿فَآمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفُتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَوْأِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٢٧] وقال في الراسخين في العلم: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمِنًا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٢٧]. فالزائغون يتخذون من هذه الآيات المتشابهات وسيلة للطعن في كتاب الله ، وفتنة الناس عنه، وتؤويله لغير ما أراد الله تعالى به، **فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ**.

وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بأن ما جاء في كتاب الله تعالى فهو حق وليس فيه اختلاف ولا تناقض؛ لأنه من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وما جاء مشتبهاً ردوه إلى المحكم ليكون الجميع مُحَكَّماً.

ويقولون في المثال الأول: إن الله تعالى يدين حقيقتين على ما يليق بجلاله وعظمته لا تماثلان أيدي المخلوقين، كما أن له ذاتاً لا تماثل ذات المخلوقين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويقولون في المثال الثاني: إن الحسنة والسيئة كلتاهم بتقدير الله عز وجل، لكن الحسنة سببها التفضيل من الله تعالى على عباده. أما السيئة فسببها فعل العبد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] فإضافة السيئة إلى العبد من إضافة الشيء إلى سببه لا من إضافته إلى مُقدَّره، أما إضافة الحسنة والسيئة إلى الله تعالى فمن باب إضافة الشيء إلى مقدرها، وبهذا يزول ما يوهم الاختلاف بين الآيتين لانفكاك الجهة.

ويقولون في المثال الثالث: إن النبي ﷺ لم يقع منه شك فيما أنزل إليه، بل هو أعلم الناس به وأقواهم يقينًا كما قال الله تعالى في نفس السورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُتُمْ فِي شَكٍ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤]. المعنى: إن كتم في شك منه فأنا على يقين منه، ولهذا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، بل أكفر بهم، وأعبد الله.

ولا يلزم من قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ أن يكون الشك جائزًا على الرسول ﷺ أو واقعًا منه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِرَحْمَنَ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] هل يلزم منه أن يكون الولد جائزًا على الله تعالى أو حاصلاً؟ كلا، فهذا لم يكن حاصلاً ولا جائزًا على الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَتَخِذَ وَلَدًا﴾ [٩٢] إن كُلُّ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا [مرim: ٩٣-٩٢].

ولا يلزم من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُتَرِّكِينَ﴾ أن يكون الامتناء واقعًا من الرسول ﷺ لأن النهي عن الشيء قد يوجه إلى من لم يقع منه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧] ومن المعلوم أنهم لم يصدوا النبي ﷺ عن آيات الله ، وأن النبي ﷺ لم يقع منه شرك. والغرض من توجيه النهي إلى من لا يقع منه التنديد بما وقع منهم والتحذير من منهاجمهم، وبهذا يزول الاشتباه وظن ما لا يليق بالرسول ﷺ .

أنواع التشابه في القرآن

التشابه الواقع في القرآن نوعان:

أحد هما: حقيقي وهو ما لا يمكن أن يعلمه البشر كحقائق صفات الله عز وجل، فإننا وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات لكننا لا ندرك حقائقها وكيفيتها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولهذا لما سُئل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهذا النوع لا يُسأل عن استكشافه لتعذر الوصول إليه.

النوع الثاني: نسبي وهو ما يكون مشتبهًا على بعض الناس دون بعض، فيكون معلوماً للراسخين في العلم دون غيرهم. وهذا النوع يُسأل عن استكشافه وبيانه لإمكان الوصول إليه، إذ لا يوجد في القرآن شيء لا يتبيّن معناه لأحد من الناس، قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [التحليل: ٨٩] وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأَنَاهُ فَاتَّبَعُوا قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨: ١٩] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وأمثلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] حيث اشتبه على أهل التعطيل ففهموا منه انتفاء الصفات عن الله تعالى، وأدعوا أن ثبوتها يستلزم المثالثة، وأعرضوا عن الآيات الكثيرة الدالة على ثبوت الصفات له، وأن إثبات أصل المعنى لا يستلزم المثالثة.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] حيث اشتبه على الوعيدية ففهموا منه أن قاتل المؤمن عمداً مخلداً في النار، وطردوا ذلك في جميع أصحاب الكبائر،

وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠] حيث اشتبه على الجبرية، ففهموا منه أن العبد مجبور على عمله، وادعوا أنه ليس له إرادة ولا قدرة عليه. وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن للعبد إرادة وقدرة، وأن فعل العبد نوعان اختياري وغير اختياري.

والراسخون في العلم أصحاب العقول يعرفون كيف يخرجون هذه الآيات المشابهة إلى معنى يتلاءم مع الآيات الأخرى فيبقى القرآن كله مُحْكَماً لا اشتباه فيه.

الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه

لو كان القرآن كله مُحْكَماً لفاقت الحكمة من الاختبار به تصديقاً وعملاً لظهور معناه وعدم المجال لتحريفه والتمسك بالتشابه ابتعاغ الفتنة وابتغاء تأويله. ولو كان كله متشاربها لغات كونه بياناً وهدى للناس، ولما أمكن العمل به وبناء العقيدة السليمة عليه. ولكن الله تعالى بحكمته جعل منه آيات محكمات يرجع إليهن عند التشابه، وأخر متشاربات امتحاناً للعباد ليتبين صادق الإيمان من في قلبه زَيْغٌ، فإن صادق الإيمان يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى، وما كان من عند الله فهو حق، ولا يمكن أن يكون فيه باطل أو تناقض لقوله تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وأما منْ في قلبه زَيْغٌ فيتخذ من التشابه سبيلاً إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار، والاستكبار عن الأحكام، ولهذا تجد كثيراً من المنحرفين في العقائد والأعمال يتحجرون على انحرافهم بهذه الآيات المشابهة.

موهم التعارض في القرآن

التعارض أن تتقابل آياتان بحيث يمنع مدلول إحداهما مدلول الأخرى، مثل أن تكون إحداهما مثبتة لشيء والأخرى نافية له.

ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبri؛ لأنه يلزم كون إحداهما كذبًا وهو مستحيل في أخبار الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيَالًا﴾ [النساء: ١٢٢] ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حكمي لأن الأخيرة منها ناسخة للأولى قال الله تعالى: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِّهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [آل عمران: ١٠٦] وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخرية.

وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك فحاول الجمع بينهما، فإن لم يت彬 لك وجوب عليك التوقف وتكل الأمر إلى عالمه.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أمثلة كثيرة لما يوهم التعارض وبينوا الجماع في ذلك. ومن أجمع ما رأيت في هذا الموضوع كتاب «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمة الله تعالى، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى في القرآن: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٢] وقوله فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فجعل هداية القرآن في الآية الأولى خاصة بالمتقين وفي الثانية عامة للناس، والجماع بينهما أن الهداية في الأولى هداية التوفيق والانتفاع، والهداية في الثانية هداية التبيين والإرشاد.

ونظير هاتين الآيتين قوله تعالى في الرسول ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٥٦] وقوله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

مستقيمه [الشوري: ٥٢] فال الأولى هداية التوفيق، والثانية هداية التبيين.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] قوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٦٢] قوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [القصص: ٨٨] قوله: ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَهْلَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَسْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١] ففي الآيتين الأوليين نفي الألوهية عمما سوى الله تعالى، وفي الآخرين إثبات الألوهية لغيره.

والجمع بين ذلك أن الألوهية الخاصة بالله عز وجل هي الألوهية الحق، وأن المثبتة لغيره هي الألوهية الباطلة، لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [الأعراف: ٢٨] قوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرِيرَةً أَمْرَنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَرْنَا هَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] ففي الآية الأولى نفي أن يأمر الله تعالى بالفحشاء وظاهر الثانية أن الله تعالى يأمر بما هو فسق.

والجمع بينهما أن الأمر في الآية الأولى هو الأمر الشرعي والله تعالى لا يأمر شرعاً بالفحشاء لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [التحل: ٩٠] والأمر في الآية الثانية هو الأمر الكوني والله تعالى يأمر كوناً بما شاء حسب ما تقتضيه حكمته لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

ومن رام زيادة أمثلة فليرجع إلى كتاب الشقيقطي المشار إليه آنفاً.

القسم

القسم: بفتح القاف والسين: اليمين، وهو تأكيد الشيء بذكر مُعَظَّم، بالواو أو إحدى أخواتها، وأدواته ثلاث:

الواو - مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ﴾ [الذاريات: ٢٣] ويحذف معها العامل وجوباً ولا يليها إلا اسم ظاهر.

والباء - مثل قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١] ويجوز معها ذكر العامل كما في هذا المثال، ويجوز حذفه كقوله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَيُعِزِّتُكَ لِأَغْوَيْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ويجوز أن يليها اسم ظاهر كما مثلنا، وأن يليها ضمير كما في قولك: الله ربى وبه أحلف لينصرن المؤمنين.

والتناء - مثل قوله تعالى: ﴿تَالَّهُ لَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦] ويحذف معها العامل وجوباً، ولا يليها إلا اسم الله أو رب، مثل: تَرَبُّ الْكَعْبَةِ لِأَحْجَنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

والأصل ذكر المُقْسَم به، وهو كثير كما في المثل السابقة.

وقد يحذف وحده مثل قولك: أحلف عليك لتجتهدن.

وقد يحذف مع العامل وهو كثير مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]

والأصل ذكر المُقْسَم عليه وهو كثير مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبَعِّثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]

وقد يحذف جوازاً مثل قوله تعالى: ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] وتقديره لِيُهُمْ لُكْنَ .

وقد يحذف وجوباً إذا تقدمه أو اكتنفه ما يعني عنه، قال ابن هشام في المغني :
ومثّل له بنحو: زيد قائم والله. وزيد والله قائم .
وللقسم فائدتان :

إحداهما : بيان عظمة المُقسَم به .

والثانية : بيان أهمية المُقسَم عليه وإرادة توكيده، ولذا لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية :

الأولى: أن يكون المُقسَم عليه ذا أهمية.

الثانية : أن يكون المخاطب متربداً في شأنه .

الثالثة: أن يكون المخاطب منكراً له .

القصص

القصص والقص لغة: تبع الأثر.

وفي الاصطلاح: الأخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً.

وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وذلك لتمام مطابقتها للواقع.

وأحسن القصص لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أُوحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [يوسف: ٣] وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى.

وأنفع القصص لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] . وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

وهي ثلاثة أقسام:

* قسم عن الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين.

* وقسم عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة فنقله الله تعالى عنهم كقصة مريم، ولقمان، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وذى القرنين، وقارون ، وأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وأصحاب الأخدود، وغير ذلك.

* وقسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة غزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير، وزيد بن حارثة، وأبي لهب، وغير ذلك.

وللقصص في القرآن حِكْمَ كثيرة عظيمة منها :

١ - بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزَاجٌ ٤﴾ حِكْمَةٌ بِالْغَةٍ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٤ ، ٥] .

٢ - بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين لقوله تعالى عن المكذبين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْتَتْ عَنْهُمْ آثِرُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١].

٣ - بيان فضله تعالى بمحنة المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلُ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرٍ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجِزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥].

٤ - تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءُهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [٢٥] ثُمَّ أَخْدَتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٥، ٢٦].

٥ - ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه إذا علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْفَمِ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنباء: ٨٨] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

٦ - تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠]

٧ - إثبات رسالة النبي ﷺ، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩] وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩].

تكرار القصص

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان، وأصحاب الكهف. ومنها ما يأتي متكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة وتنقضيه المصلحة ولا يكون هذا التكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللّيin والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر ومن الحكمة في هذا التكرار:

- ١ - بيان أهمية تلك القصة؛ لأن تكرارها يدل على العناية بها.
- ٢ - توكييد تلك القصة لثبتت في قلوب الناس.
- ٣ - مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية، والعكس فيما أتى في السور المدنية.
- ٤ - بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال.
- ٥ - ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متعددة بدون تناقض.

الإسraelيات

الإسraelيات: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود - وهو الأكثر - أو من النصارى.

وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع:

الأول: ما أقره الإسلام وشهد بصدقه فهو حق.

مثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله عليه السلام فقال: يا محمد إنَّا نجد أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءُ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرُ الْخَلَقِ عَلَى إِصْبَعٍ. فيقول: أنا الملك. فضحك النبي عليه السلام حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله عليه السلام : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) [الزمر: ٦٧]

الثاني: ما أنكره الإسلام وشهد بكتابه فهو باطل.

مثاله: ما رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول. فنزلت ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرَثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(٢) [البقرة: ٢٢٣]

الثالث: ما لم يقره الإسلام ولم ينكره فيجب التوقف فيه، لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله عليه السلام : «لا تصدقو أهل الكتاب ولا تكذبواهم»

(١) أخرجه: البخاري (٤٨١١ ، ٧٤١٤ - وغير موضع) ، وكذلك مسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٥٢٨) ، وكذلك مسلم (١٤٣٥).

وقولوا: ﴿آمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم﴾^(١) الآية [البقرة: ١٣٦] . ولكن التحدث بهذا النوع جائز إذا لم يخش محدود لقول النبي ﷺ: «بلغوا عنِي ولو آية، وحدثوا عنِّي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجٌ، وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مَتَعْمِدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢) . [رواه البخاري]

وغالب ما يروى عنهم من ذلك ليس بذى فائدة في الدين كتعين لون كلب أصحاب الكهف ونحوه.

وأما سؤال أهل الكتاب عن شيء من أمور الدين فإنه حرام لما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألو أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، فإنكم إنما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق ، وإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»^(٣) . وروى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يا معاشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله مخصوصاً لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلو من كتاب الله وغيرها وكتبوا بأيديهم وقالوا: هو من عند الله ، ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً . أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم ، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم»^(٤) .

موقف العلماء من الإسرائيлиيات

اختلقت مواقف العلماء ولا سيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على ثلاثة

(١) أخرجه: البخاري (٤٤٨٥ ، ٧٣٦٢ ، ٧٥٤٢) .

(٢) أخرجه: البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه: أحمد (٣٢٨/٣ ، ٣٨٧) .

(٤) أخرجه: البخاري (٢٦٨٥ ، ٧٣٦٣ ، ٧٥٢٢ ، ٧٥٢٣) .

(أ) منهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من

عهدها، مثل ابن جرير الطبرى.

(ب) منهم من أكثر منها وجّرّها من الأسانيد غالباً فكان حاطب ليل ، مثل البغويّ، الذي قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسيره: «إنه مختصر من الشعّلبي، لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والأراء المبدعة»^(١) ، وقال عن الشعّلبي: «إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع»^(٢) .

(ج) منهم من ذكر كثيراً منها وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.

(د) منهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئاً يجعله تفسيراً للقرآن كمحمد رشيد رضا.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٣٥٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥٤ / ١٣).

الضمير

الضمير لغة : من الضمُور وهو الهزال لقلة حروفه ، أو من الإضمار وهو الإخفاء لكثرة استثاره .

وفي الاصطلاح : ما كُني به عن الظاهر اختصاراً ، وقيل: ما دل على حضور أو غيبة لا من مادتهما .

فالدلال على الحضور نوعان .

أحدهما: ما وضع للمتكلم مثل : ﴿وَأَفْرِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] .

الثاني: ما وضع للمخاطب مثل : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] .

وهذا لا يحتاجان إلى مرجع اكتفاء بدلالة الحضور عنه .

والدلال على الغائب: ما وضع للغائب ، ولا بد له من مرجع يعود عليه .

والأصل في المرجع أن يكون سابقاً على الضمير لفظاً ورتبة ، مطابقاً له لفظاً ومعنى مثل : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ [هود: ٤٥] .

وقد يكون مفهوماً من مادة الفعل السابق مثل : ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]

وقد يسبق لفظاً لا رتبة مثل : ﴿وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١٢٤] .

وقد يسبق رتبة لا لفظاً مثل : «حمل كتابه الطالب» .

وقد يكون مفهوماً من السياق مثل : ﴿وَلَا بَوِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١] فالضمير يعود على الميت المفهوم من قوله : ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ .

وقد لا يطابق الضمير معنى مثل : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [١٢] ثُمَّ

جعلناه نطفة ﴿المؤمنون: ١٢﴾ فالضمير يعود على الإنسان باعتبار اللفظ؛ لأن المجعل نطفة ليس الإنسان الأول.

وإذا كان المرجع صالحًا للمفرد والجمع جاز عود الضمير عليه بأحدهما، مثل:
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

والالأصل اتحاد مرجع الضمائر إذا تعددت مثل **﴿عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ٥ ذُو مِرَّةٍ ٦ فَاسْتَوَى ٧ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ٨ ثُمَّ دَنَّا فَنَذَلَى ٩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ١٠ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ١١﴾** [النجم: ٥ - ١٠] فضمائر الرفع في هذه الآيات تعود إلى شديد القوى وهو جبريل.

والالأصل عود الضمير على أقرب مذكور؛ إلا في المتضاييفين فيعود على المضاف؛ لأنه المتحدث عنه، مثل الأول: **﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [الإسراء: ٢]

ومثال الثاني: **﴿وَإِنْ تَعْدُوا نَعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** [إبراهيم: ٣٤ ، التحل: ١٨].

وقد يأتي على خلاف الأصل فيما سبق بدليل يدل عليه.

الإظهار في موضع الإضمار

الأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير لأنه أبين للمعنى وأختصر للفظ، ولهذا ناب الضمير في قوله تعالى: **﴿أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب: ٣٥]

عن عشرين كلمة المذكورة قبله، وربما يؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر وهو ما يسمى «الإظهار في موضع الإضمار» وله فوائد كثيرة تظهر بحسب السياق منها:

- ١ - الحكم على مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر.

٢ - بيان علة الحكم.

٣ - عموم الحكم لكل متصل بما يقتضيه الاسم الظاهر.

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] ولم يقل فإن الله عدو له فأفاد هذا الإظهار :

١ - الحكم بالكفر على من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال.

٢ - أن الله عدو لهم لکفرهم.

٣ - أن كل كافر فالله عدو له.

مثال آخر : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] ولم يقل إنا لا نضيع أجراهم. وأفاد ثلاثة أمور :

١ - الحكم بالإصلاح للذين يمسكون بالكتاب ويقيمون الصلاة.

٢ - إن الله آجرهم لاصلاحهم.

٣ - إن كل مصلح فله أجر غير مضاع عند الله تعالى.

وقد يتغير الإظهار كما لو تقدم الضمير مرجعان يصلح عوده إلى كل منها والمراد أحدهما مثل : اللهم أصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانته ولاة أمورهم، إذ لو قيل وبطانتهم لأوهם أن يكون المراد بطانة المسلمين.

ضمير الفصل

ضمير الفصل حرف بصيغة ضمير الرفع المنفصل يقع بين المبتدأ والخبر إذا كانا معروفيين.

ويكون بضمير المتكلم كقوله تعالى : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤] وقوله :

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥].

وبضمير المخاطب كقوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

وبضمير الغائب كقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وله ثلاثة فوائد:

الأولى : التوكيد، فإن قوله: زيد هو أخوك، أو كد من قوله: زيد أخوك.

الثانية: الحصر وهو اختصاص ما قبله بما بعده، فإن قوله: المجتهد هو الناجح، يفيد اختصاص المجتهد بالنجاح.

الثالثة: الفصل أي التمييز بين كون ما بعده خبراً أو تابعاً، فإن قوله: زيد الفاضل يحتمل أن تكون الفاضل صفة لزيد والخبر متظر، ويحتمل أن تكون الفاضل خبراً، فإذا قلت: زيد هو الفاضل، تعين أن تكون الفاضل خبراً لوجود ضمير الفصل.

الالتفاتات

الالتفاتات : تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر ، وله صور منها :

١ - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب : كقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
 الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٥-٢]
 فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله : إياك .

٢ - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة : كقوله تعالى : ﴿هَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ
 وَجَرِينَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢] فحول الكلام من الخطاب إلى الغيبة في قوله : ﴿وَجَرِينَ
 بِهِمْ﴾ .

٣ - الالتفات من الغيبة إلى التكلُّم : كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَبَعَثَنَا مِنْهُمْ أَثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا﴾ [المائدة: ١٢] فحول الكلام من الغيبة إلى
 التكلُّم في قوله : ﴿بَعَثَنَا﴾ .

٤ - الالتفات من التكلُّم إلى الغيبة : كقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾
 فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴿١﴾ [الكوثر: ١ ، ٢] فحول الكلام من التكلُّم إلى الغيبة في قوله
 ﴿لِرَبِّكَ﴾ .

وللالتفاتات فوائد منها :

- ١ - حمل المخاطب على الانتباه لتغيير وجه الأسلوب عليه .
- ٢ - حمله على التفكير في المعنى ؛ لأن تغيير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب .
- ٣ - دفع السآمة والملل عنه ؛ لأنبقاء الأسلوب على وجه واحد يؤدي إلى

وهذه الفوائد عامة للالتفات في جميع صوره.

أما الفوائد الخاصة فتتعين في كل صورة حسب ما يقتضيه المقام.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم والله الحمد رب العالمين



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	* مقدمة
٦	* القرآن الكريم
٨	- نزول القرآن
٩	- أول ما نزول من القرآن
١٠	- نزول القرآن ابتدائي وسببي
١١	فوائد معرفة أسباب النزول
١٣	عموم اللفظ وخصوص السبب
١٤	- المكي والمدني
١٥	فوائد معرفة المدنى والمكى
١٦	الحكمة من نزول القرآن مفرقاً
١٧	ترتيب القرآن
١٩	- كتابة القرآن وجمعه
٢٣	* التفسير

الصفحة	الموضوع
٢٤	- الواجب على المسلم في تفسير القرآن
٢٥	- المرجع في تفسير القرآن
٢٩	- الاختلاف الوارد في التفسير المؤثر
٣١	- ترجمة القرآن
٣١	حكم ترجمة القرآن
٣٣	- المشتهرون بالتفسير من الصحابة
٣٣	علي بن أبي طالب
٣٤	عبد الله بن مسعود
٣٥	عبد الله بن عباس
٣٨	- المشتهرون بالتفسير من التابعين
٣٨	مجاحد
٣٩	قتادة
٤٠	* القرآن محكم ومتشابه
٤٢	- موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه
٤٣	- أنواع التشابه في القرآن

الصفحة	الموضوع
٤٥	- الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشبه
٤٦	* موهم التعارض في القرآن
٤٨ * القسم
٥٠ * القصص
٥٢	- تكرار القصص
٥٣ * الإسرائيليات
٥٤	- موقف العلماء من الإسرائيليات
٥٦ * الضمير
٥٧	- الإظهار في موضع الإضمار
٥٨ - ضمير الفصل
٦٠	- الالتفات
٦٢ * الفهرس